من أجل غزة الشهيدة ليلَ نهارْ

فيليب تانسلان، فرنسا
ترجمة: أنس العيلة، فلسطين

يضعُ التاريخُ على عنقِ الفلسطيني
عقداً ضيقاً مُتعدَّد الألوان
مساءً وصباحاً، تُغنِّي حكمةُ الطائر
لكلِّ إمرئ أرض مولِده
حتى ما بين النجوم

عندما يضعُ المستعمرُ بين عينَي ضحيته احتلالَ الأفق
وعندما يرغب بإخفاء الآخرين عن نظره
دعوه يدركُ أنه لن يستطيع سرقة أو محو ذاكرة أبناء الأرض
أنه لن ينجح أبداً في إبادة وضوح الينبوع وعمق البئر
ولا في امتلاك دفء شعاع الشمس
ولا في ثني رقعة من السماء الزرقاء عن تدفئة المُطارد... دائماً

كلُّ الأشياء متَّصلة
الرماد الذي يريد المُحتلُّ أن يحوِّل أرض فلسطين إليه
هو رماد الجميع، رجالاً ونساءً، مختلطين عبر الزمن

---

* فيليب تانسلان (Philippe Tancelin) شاعر فرنسي من مواليد العام 1948، وهو من أكثر الشعراء الفرنسيين ومن أقدمهم انخراطاً في قضية فلسطين. بدأ اهتمامه السياسي بعد أحداث أيار/ مايو 1968 في فرنسا، وانخرط في فترة السبعينيات في "لجان فلسطين" التي كان عضواً فيها. ومنذ ذلك الحين وحتى اليوم، لم يتوقَّف تانسلان عن الكتابة من أجل فلسطين من خلال المقالات والنصوص الأدبية والمسرحيات. ومن بين أهم مؤلفاته **حُلم الحَجَر**، الذي يتناول موضوع الانتفاضة، وهي مسرحية ترجمها إلى العربية كاظم جهاد ونُشرت في مجلة **الكرمل** في العام 1992، وحازت على جائزة أفضل كاتب مسرحي في مسرح "دي سيلستان" في العام 1993، ونُشرت لاحقاً عن دار لارمتان الفرنسية. ثم كتابه **المخيمات المنسية**، وهو شهادة مُستمدَّة من زيارة إلى مخيمَي صبرا وشاتيلا، ونشر في العام 2011 عن دار لارمتان. وكتابه الذي صدر مؤخَّراً بعنوان **اللامتغيِّر / فلسطين: الشعر، بلا انفصال**، وهو مجموعة من المقالات والقصائد والكتابات التي نُشرت بين 1982-2024.

ودون ذاكرة هؤلاء كما أولئك
لا يمكن لهذا الرماد الذي لا ينفصل إلا أن يموت من الوحدة

الدُّبَال يفتحُ أخاديد ذاكرة الفلسطينيين:
مفتاح البيت المدمَّر
الابتسامة المندهشة للفتاة الصغيرة تحت الأنقاض
الركض المتوقِّف للابن لحظة القصف
الأب والأم تائهان نازحان منكسران من الألم
الشجرة التي لا يزال منديل عروس معلَّقاً عليها

الدُّبَال يغذِّي العشبَ البريَّ الذي ينبت بين الحجارة
ويقيمُ على طريقٍ عقودٍ من عدم الاعتراف
حقَّ الشعب في أرضه
ويكتب على صفحات تاريخه قصيدة الأمل والشجاعة
التي تسكن أسمى مكان في شخص الإنسان

فليت المُطارَد يوماً ما
يتمكَّن من التنفُّس بين أزهار الياسمين
نشوةَ صباحٍ حرٍّ

ليت الطائر يوماًما
يرى في عينَي شجرة الزيتون المحترقة
ظلَّ طيرانه المحفوظ

أن يسمع يوماً ما
من يصرخ بكلمات الحبِّ التي لا تضيع
ويذوق سَكينة الشفاء الذي يغلِّف الحلم الذي لم يهرب

كي نضيء الغد فلنبحث عن وجه الماضي

فلنسمع النداء المتصاعد من آبار الهجر
فلننظر بعيون العرَّافين
ولنلمس بأيدي الباحثين عن المياه
لندرك أن ما ينبغي قوله سيُختم
وأن ما يُودُّ أن يُسكت عنه سُيعلن
لنحتفل بجمال الحقِّ في كلِّ خطوة فلسطينية
كلُّ حقٍّ تاريخي يلتفُّ على رقابة الزمن ويهزمه
فهو يستشعر بين صفحات اللغزِ
فصل الربيع الذي يُحييه الفعل في رحلته من الجسد إلى اللانهاية

صوت غزة القتيل
يرسم الباب الذي ينفتح على موقع انبثاق جذريٍّ
من أجل الكرامة
إنه يهمسُ لقلوبنا سرَّ مستقبل إنسانيٍّ
أكثر من إنسانيّ.

عندما لا تعود هناك ظلالٌ تمتدُّ من شجرة إلى شجرة
عندما لا يعود هناك خيالٌ يلتحقُ بالأفق
عندما لا تهبُّ الريحُ سوى صمت السكون
عندما لا تصبح الصحراء سوى ساحة بلا روح
أيُّ طائر سيطير من عشِّه الذي زال إلى مكان آخر، لم يعد هناك ما يدعوه إليه؟
أيُّ حضور هارب سيصل مرة أخرى إلى الحرية؟
أيُّ سماء لن تشهد سقوطه في أعماق صمتنا؟
عندها
سنعلم أن يداً فلسطينية سترتفع بجلالٍ دائم
لتزرع جوهر الأرض الذي نحلم به